منهج استشراقي في تزييف حقائق التاريخ الإسلامي

■■ بعد الهزيمة العسكرية والإخفاق الذي لحق بالصليبيين، وفشلهم في تحقيق أهدافهم على الأرض الإسلامية، عادوا أدراجهم من حيث أتوا، وبدأ عدد من القساوسة والرهبان العائدين ينشر مذكرات وكتباً عن الإسلام والمسلمين ملئت بالطعن والعيب عليه، فهو « صورة مشوهة مخزية لتعاليم النصرانية، وفرقة منشقة عن الكنيسة » ومحمد ﷺ « كاردينال منشق على البابوية، طمع في كرسيها، فلما خابت آماله ادعى النبوة، وقاتل لص، وكافر وساحر، وإرهابي ينشر الدماء، وداعية إباحية ... » والمسلمـون « وحوش، وخنازير، وأبناء شياطين » والقرآن الكريم « غير منسجم ولا منتظم فيما يحويه، وكل ما فيه مخالف للعقل ويعيق الفكر، يناقض بعضه بعضاً » [المستشرقون والإسلام : ٦ ـ ١٠].

وتبنت الكنيسة كل ما يعادي الإسلام حتى لو كان صادراً عن أعدائها، فالبابا « بونوا الرابع عشر » الذي اشتهر بكونه الحبر الأعظم في القرن الثامن عشر الميلادي لم يتردد في مباركة « فولتير » الأديب الذي اشتهر بعدائه للكنيسة ومحاربته لها عندما أصدر مسرحيته التي سماها « محمد أو التعصب » وهاجم فيها الرسول ﷺ وتهجم على الإسلام وتاريخه ... والتي ذاع صيتها في أوروبا حتى سمح لها بأن تسجل في قائمة مؤلفات مسرح الكوميدي فرانسيز [دراسة الكتب المقدسة : ١٣٦].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تداعى رجال الكهنوت والسياسة والفكر من أجل وضع الخطط التي تكفل لهم تخليص بيت المقدس وإعادة الأرض الإسلامية إلى السيطرة النصرانية، وقام القس الإسباني « ريمون رول » ينادي باستخدام سلاح التنصير والغزو الفكري بدلاً من الحرب الصليبية العسكرية، فكان أول من نادى باستخدام الإرساليات التنصيرية، وكذلك أول من نادى بضرورة إيجاد كرسي للدراسات الشرقية الإسلامية في الجامعات الأوروبية، وهو الذي أدخل تعليم العربية في المعاهد النصرانية للدراسات العليا. [مجلة العالم الإسلامي عدد يوليو (تموز) ١٩٦٣م] ■■

وهكذا انتقلت المواجهة إلى ساحة جديدة هي الساحة الفكرية، وكان العبث بالتاريخ الإسلامي من أخطر الميادين التي ولجها هؤلاء، وكل من له أدنى اطلاع على مناهج التاريخ التي تنشأ عليها أجيال المسلمين، وتدرس لهم في المدارس والجامعات يلمس آثار هذا العبث، ويقدر ضراوة الحملة الشرسة التي يقودها هؤلاء ضد الأمة المسلمة وتاريخها ...

وتأتي كتابات الدكتور « **فيليب حتي** » في مقدمة هذه الدراسات التاريخية التي عبثت بالتاريخ الإسلامي وعملت على تشويهه، وتكمن خطورتها في أنها أضحت المرجع لكثير من الدارسين العرب والمسلمين ...

من هو ؟

ولد « فيليب حتي » في قرية شملان بلبنان عام ١٨٨٦م. وتوفي في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م ... تلقى تعليمه الأولي في قريته، ثم أكمل دراسته حتى المرحلة الثانوية في « المدرسة الأمريكية العالية » بسوق الغرب في جبل لبنان، والتي أسستها الإرسالية التنصيرية الأمريكية، ثم دراسته الجامعية في الجامعة الأمريكية ببيروت « الكلية الانجيلية سابقاً » التي أوفدته عام ١٩١٠م إلى اسطنبول مندوباً إلى مؤتمر « جمعية الطلبة المسيحيين في العالم » ثم اختارته في صيف عام ١٩١٣م ليلقي محاضرة في المؤتمر الثامن للجمعية العالمية للطلبة المسيحيين المنعقد في « موهونك » بولاية نيويورك الأمريكية ... وقد ابلغه الدكتور « هيوارد بلس » رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت أن بإمكانه متابعة دراسته العليا في أية جامعة يريدها في الولايات المتحدة الأمريكية ...

تابع دراسته العليا في جامعة كولومبيا بدعم من الجامعة الأمريكية، وجمعية الطلبة المسيحيين في العالم، وتخرج بدرجة دكتور في الفلسفة عام ١٩١٦م وأصبح محاضراً في الجامعة نفسها حتى عام ١٩٢٠م حيث حصل على الجنسية الأمريكية، ثم عاد إلى بيروت لِيُدَرِّسَ في الجامعة الأمريكية حتى عام ١٩٢٦م. رجع بعدها إلى الولايات المتحدة ليعمل محاضراً في جامعة برنستون، الشهيرة في ميدان الدراسات الاستشراقية والعداء للإسلام والمسلمين، ثم أستاذاً مساعداً فيها إلى أن أصبح رئيساً لقسم اللغات والآداب الشرقية (قسم الدراسات الشرقية) واستمر في رئاسته لهذا القسم حتى تقاعده عام ١٩٥٤م.

وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط، ورغم تظاهره بالدفاع عن القضايا العربية هناك [بعض الوفود العربية في الأمم المتحدة استعانت به واتخذته مستشاراً لها] إلا أنه في المواقف الجدية سرعان ما يخونه التظاهر ليعود إلى حقيقته، ففي شهر شباط ١٩٤٦م مثلاً، وقف ليدلي بشهادته أمام لجنة التحقيق الانكلو أمريكية بشأن فلسطين، وإذا به يقول أمامها : « **ليس هناك شيء اسمه فلسطين في التاريخ مطلقاً** : There is nothing as Palasteine in History absoluty not [1].

ولما ذهبت اللجنة إلى القدس، واجتمعت بالأمين العام للوكالة اليهودية يومها « دافيد بن غوريون » لم يزد على أن قال :

« في الشهادة التي تقدم بها أمامكم الدكتور فيليب حتي في الولايات المتحدة : إنه لم يكن في التاريخ شيء يسمى فلسطين. وأنا دافيد بن غوريون أقول لكم : إني أوافق الدكتور فيليب على قوله ».

بقلم : اسماعيل الكيلاني

■ تزييف حقائق التاريخ الإسلامي والعبث بها من أخطر أسلحة الحرب الصليبية الجديدة في ساحة الفكر .. وكتابات «فيليب حتي» تأتي في مقدمة هذا العبث .



● فيليب حتي :
لم يكن في التاريخ شيء يسمى فلسطين ●

صانعو التاريخ العربي

دراسة وضعها فيليب حتي بالإنكليزية عام ١٩٦٨م . بجامعة برنستون ، وترجمت إلى العربية ونشرتها في بيروت « دار الثقافة » وقد خصصها لدراسة شخصيات مسلمة بداها برسول الله ﷺ ، ومن هذه الشخصيات : **عمر ، معاوية ، الغزالي ، ابن سينا ، ابن خلدون** ...

صدرها بمقدمة جاء فيها قوله : « ... **إن المادة التي اعتمدناها في هذه الدراسة مستمدة من المصادر الأولية بعد مقابلتها بنتائج الأبحاث العلمية التي قام بها علماء الشرق والغرب** ... » (ص : ٧) .

وأول شخصية بدأ الحديث عنها كانت : « **النبي العربي محمد ، صاحب وحي ورسالة ، وباني أمة ومؤسس دولة** ... » (ص : ١٣) وقد استوعب عشرين صفحة من صفحات الكتاب المذكور (ص : ١٣ إلى ٣٣) وسنتخذ من هذه الصفحات العشرين أنموذجاً لبيان العبث بالتاريخ الإسلامي ، ومحاولات تزييف الحقائق للدلالة على منهج هؤلاء العلمي !! في دراسة حقائق التاريخ الإسلامي .

أثر النصرانية في الإسلام

في الصفحة (١٦) من الكتاب المذكور يقول مؤلفه : « ... **وعندما خرج الفتى ـ محمد ﷺ ـ وهو بعد في الثانية عشرة من عمره مع عمه ابي طالب إلى الشام ، نظر راهب مسيحي اسمه بحيرا إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، هذه الأساطير الإسلامية والمسيحية التي حيكت حول بحيرا تعكس لنا شيئاً عن العلاقات القديمة بين الديانتين ، وعن أثر المسيحية** » .

وكان قد مهد للوصول إلى هذه النتيجة بوصفه الفترة من حياة الرسول ﷺ التي سبقت زواجه من خديجة رضي الله عنها بالغموض (ص : ١٤) وليؤكد بعد ذلك في الصفحة (١٨) انه عليه الصلاة والسلام كان قارئاً كاتباً ، حتى إذا ذكر اثر المسيحية على الإسلام بينما كان لكلامه الأثر في قلب قارئه وعقله ، لذا كان تحريفه لحديث رسول الله ﷺ في بدء الوحي حيث يقول : « وذات ليلة من أخريات ليالي رمضان ، بينما كان محمد ـ ﷺ ـ **يفكر في المشكلات التي كانت تقلق باله**(١) ، **سمع فجأة صوتاً يقول له : اقرا ، فكانه سأل : ماذا اقرا ؟ ولكن الصوت اتاه ثانية يقول : اقرا وربك الأكرم ... ولربما كان النبي ـ ﷺ ـ** ينتفع بالقراءة والكتابة في تصريف شؤونه ، ولكن يبدو أنه لم يكن متأكداً من أنه يستطيع أن يكتب أموراً في الدين ... » (ص : ١٨) .

بينما كان قول رسول الله ﷺ الذي وعته كتب المحدثين والمؤرخين على سواء : « **ما انا بقارىء** » و « **لست بقارىء** » وما ورد في سورة العنكبوت ، الآية : ٤٨ ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ **على الضد مما ذهب إليه** .

اما قضية اثر المسيحية ، فقد سبق مشركو العرب المستشرقين واسلافهم من رجال عصر النهضة الأوروبية في افترائها على رسول الله ﷺ ، وبأن « **عداساً** » الغلام النصراني لابني شيبة ، الذي آمن بالإسلام ودخل في دين الله عز وجل عندما التقى بمحمد عليه الصلاة والسلام في حائط (بستان) لهما دخله ﷺ ليستريح مما عاناه وغلامه زيد بن حارثة رضي الله عنه على أيدي سفهاء أهل الطائف وطغاتهم وغلمانهم .. هو الذي كان يعلمه ...

ونزل قوله تعالى في سورة النحل ، الآية : ١٠٣ ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾ وكذلك قوله تعالى في سورة الفرقان ، الآيات : ٤ ـ ٦ ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ، فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً ، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ .

وما كان الكثيرون من اركان عصر النهضة من امثال « **بوليدور فيرجيل** » الذين زعموا ان الإسلام « **نسيج مشوه ، مستقى من مصادر مسيحية** » (**المستشرقون والإسلام : ١٦**) **وما زعمه في العصر الحديث من امثال جولد تسيهر في كتابه** (**العقيدة والشريعة : ١٣**) **وبروكلمان** في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية : ٤٢/١) **وبرنارد لويس** في كتابه (العرب في التاريخ : ٥٠) وغيرهم من المستشرقين إلا مرددين لمزاعم وافتراءات مشركي العرب ومن عاصرهم من الكفار يومها ..

هذا ، ومن نظر في كتاب الله عز وجل كفاه لمعرفة زيف هذا الكلام الذي زعموا له « المنهج العلمي من عودة إلى المصادر ومناقشة الروايات » فالقرآن الكريم ينزه الله عز وجل عن كل مشابهة لأي من مخلوقاته تنزيهاً كاملاً ، ويرفض أبوته للمسيح عليه السلام ولغيره من البشر أياً كان ، ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ (**سورة الإخلاص**) ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** ﴾ (**المائدة : ٧٣**) ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ** مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ (**المائدة : ١١٩**) .

والإسلام يرفض لعنة الخطيئة وعقيدة الفداء والكفارة ، وهي الأساس الذي تقوم عليه عقيدة النصارى ، ويرتب مسؤولية كل فرد عن عمله ، والا تزر وازرة وزر اخرى ، وفي هذا كله مباينة كاملة للمسيحية ، إضافة إلى شمول الإسلام لنواحي الحياة كلها ، وتدخله لتنظيمها وتوجيهها ، في حين اقتصر اثر المسيحية على الكنيسة وبداخلها فقط .

وهل يعقل لفتى لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وفي لقاء عابر مع الراهب بحيرا أن يأخذ عنه ويتلقى منه ما يمكن لمؤرخ يدعي العلمية ان يرتب عليه « اثر المسيحية في الإسلام » ؟!

ولو كان رسول الله ﷺ قد تلقى عن بحيرا وغيره من اهل الكتاب شيئاً مما يدعو الناس إليه ، فالمفروض أن يضفي عمن اخذ عنهم صفات الأصالة والحق والكمال ، وان ينزل ما اخذ منزلة السداد والصحة والتجرد ، اما ان نرى العكس من هذا كله ، فهم ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾ (**النساء : ٤٦ والمائدة : ١٣**) و ﴿ **يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ** ﴾ (**النساء : ٥٠**) ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون ... فهذا مخالف لبدائه العقول ولما تعارف عليه الناس ، لأنه لو تلقى عنهم لما ضمن ، وهو يسفه عقائدهم ويهتك أستارهم ، سكوتهم عنه وعدم تكذيبهم إياه ، وفضحهم له فيما أخذ عنهم وبيان ما تلقنه على أيديهم !! وكل هذا لم يحدث ، ولم يسجل التاريخ حادثة واحدة وقف فيها هؤلاء موقف الرد على رسول الله ﷺ بهذا الافتراء ، بل إن القرآن الكريم وكتب التاريخ والسيرة وعت ما دار بين الرسول ﷺ ووفد نصارى نجران ، وكيف أنهم رفضوا الملاعنة التي عرضها عليهم رسول الله ﷺ ، ولم يذكروا كلمة واحدة تشعر ولو من بعيد بأنه عليه الصلاة والسلام اخذ عن ديانتهم او تلقى عن كتبهم ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا**

وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران : ٥٩ ـ ٦١) .

التشابه النسبي

إن التشابه النسبي الضئيل الذي يمكن أن نلحظه بين الإسلام والكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) في بعض الأمور يُفَسَّرُ بوحدة النبع الإلٰهي الذي صدرت عنه هذه الكتب السماوية في أصلها ، خُاصة وأن الرسول ﷺ جاء ليرسي قواعد التوحيد والتسليم المطلق لله عز وجل .. وهي الأصول الكبرى للديانات السماوية . ولم يأت لنقضها ، كما جاء ليؤكد وحدة الدين الذي أوحى به الله عز وجل إلى أنبيائه ورسله **﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾** (**الشورى** : ١٣) و **﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾** (**الأحقاف** : ٩) .

ويؤكد ما ذهبنا إليه أيضاً ما رواه الواحدي في « **أسباب النزول** » : (عندما سمع نجاشي الحبشة آيات من القرآن الكريم تلاها على مسمعه **جعفر بن أبي طالب** رضي الله عنه ، قال :

« **إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . والله ما زاد المسيح على ما تقولون** ... » وكانت القسس والرهبان كلما سمعوا آية يتلوها جعفر رضي الله عنه انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، وقالوا : ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى) .

كما أن القرآن الكريم جاء بقصص لأقوام بادت لم يرد لها ذكر في الكتاب المقدس مثل : قصة عاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبَّع وأصحاب الرس ولقمان وذي القرنين ، إلى جانب المغايرة التي تكاد تكون تامة بين قصص القرآن والقصص التي ورد ذكرها في أسفار العهد القديم مثل : قصة آدم عليه السلام وسجود الملائكة ، وتمرد إبليس وطرده من الجنة ولعنته ، وتوبة آدم عليه السلام ... وقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه ... إلخ .

اليأس في حياة محمد ﷺ

يقرر الكاتب في الصفحة الثالثة والعشرين أن (الهجرة كانت نقطة تحول في حياة محمد ﷺ إذ استحال اليأس والقنوط إلى أمل وثقة وتوكيد للذات) ولم يذكر حادثة واحدة تدل على اليأس أو القنوط في حياته عليه الصلاة والسلام ، ولم يأت بأي دليل يعضد ما ذهب إليه حتى ولو إشارة ... ولا ندري كيف يكون يائساً وقانطاً من تحمل الشدة وصبر على اللأواء وأصر على متابعة الطريق رغم مشقته ووعورته ، ورغم المغريات التي عرضت عليه للتخلي عنه ؟ ألم تحفظ كتب التاريخ ، وتروِ كتب السيرة كيف كان عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه على القبائل متنقلاً من واحدة لأخرى علَّه يجد من ينصره ويقف معه ليبلغ دعوة الله عز وجل ؟ ويصبر على تحمل الأمر .

تفسير مادي ونظرة كنسية

في الصفحة السادسة والعشرين يقول : (**ولكن بعد انقضاء سنتين وجدت المدينة المضيفة نفسها على حافة الانهيار ، أولاً : لسوء حالتها الاقتصادية ، وثانياً : لأن موارد المدينة كانت محدودة** ...

ثم يتابع قائلاً :

كانت القوافل المكية إغراء لم يتمكن أهل المدينة من مقاومته ، وذات يوم من أيام رمضان ، وفي أثناء الشهر الحرام ، وقعت غزوة بدر . وإذا كان السيد المسيح برر عمل تلاميذه يوم السبت على أساس أن السبت وجد للإنسان لا الإنسان للسبت ، فلماذا لا يبرر النبي ﷺ غزوته هذه في الأشهر الحرم) .

قبل بيان الأخطاء التاريخية التي وقع فيها ، وخطل التفسير الذي ذهب إليه ، نقول : إن الله عز وجل أباح للمسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة المنورة وقيام دولتهم هناك أن يستعملوا القوة المادية لدفع أذى المشركين ، وكان هذا في قوله تعالى : **﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾** (**الحج** : ٣٨ ـ ٣٩) **بل إن بعض العلماء يرى أن هذا الإذن بالقتال كان في أواخر العهد المكي ، وأن الهجرة جاءت بعد نزول هذه الآيات لتمهد للجماعة المسلمة السبيل لتنفيذ ذلك الإذن** (**زاد المعاد** : ٢/٥٨ ، **ابن هشام** : ٢/٧٦) **ويرى الشافعي رحمه الله أن المسلمين في مكة ظلوا في أول البعثة مستضعفين ، ثم أذن لهم بالهجرة ، فهاجرت طائفة إلى الحبشة ، ثم أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ** بالهجرة إلى المدينة ، ثم كانت إباحة القتال للدفاع (أحكام القرآن : ٢/١١ ـ ١٨) .

وعلى هذا لم تكن غزوة بدر الكبرى أول مواجهة مسلحة بين المسلمين والمشركين ، ولكنها سبقت بغزوات وسرايا عديدة بدأت بعد اثني عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة **بغزوة ودان ، وسرية عبيدة بن الحارث ، وسرية حمزة إلى سيف البحر ، وغزوة بواط ، وغزوة العشيرة ، وسرية سعد بن أبي وقاص ، وغزوة بدر الاولى ، وسرية عبد الله بن جحش ، وهي التي وقعت في الشهر الحرام (رجب) لا غزوة بدر الكبرى التي وقعت في رمضان** ، ورمضان ليس من الأشهر الحرم التي هي « ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب » ولم يبرر الرسول ﷺ لأصحابه قتالهم في الشهر الحرام ، بل قال لهم : « **ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام** » وأسقط في أيديهم ، وعنفهم إخوانهم فيما صنعوا ، واستغلت قريش الأمر ، وبدأت حملة تشهير ضد المسلمين ، وكان مما قالته : « **قد استحل محمد ﷺ وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا الدم فيه ، وأخذوا الأموال ، وأسروا الرجال** .. » وجاءت آيات القرآن الكريم **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾** (**البقرة** : ٢١٧) تقرر الخطأ الذي وقع فيه عبد الله بن جحش وأصحابه عندما أقدموا على القتال في الشهر الحرام ، وتقرر أيضاً أن ما قامت به قريش من صد عن سبيل الله وكفر به ، وإخراجٍ للمهاجرين من بيوتهم أكبر وأعظم مما وقع فيه بعض المسلمين **﴿ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾** (**البقرة** : ٢١٧) فالقرآن الكريم لم يبرر الخطأ ، وكذلك الرسول ﷺ لم يفعله ، بل لم يكن من طبيعته ﷺ إلا الجهر بالحق وتقويم الاعوجاج ، والسيرة ملأى بالشواهد على ذلك ...

ولم تكن هذه السرايا والغزوات إلَّا امتثالاً لأمر الله عز وجل الذي أذن لهم بالدفاع عن انفسهم ، والاقتصاص ممن ظلمهم وانتقص حقوقهم ، ألا يكفي ما فعلته قريش من اضطهاد وتعذيب المستضعفين من المسلمين ، وما ارتكبته بحقهم من تهجير وطرد ومصادرة أموال وممتلكات ومنع الولد والزوجة ، ألا يكفي كل هذا ليكون مسوغاً للمستضعفين أن يثوروا في وجه الطاغية ؟ أفإذا ثاروا في وجهه وأخذوا بشيء من ثأرهم ومما لهم ، قالوا : إن القوافل المكية إغراء لم يتمكن أهل المدينة من مقاومته ؟! أهذا هو المنهج العلمي والإنصاف وضرورة تحري وجه الحق عند تمحيص الروايات وتقليب المصادر ؟!

ويظهر أثر الثقافة الكنسية على الكاتب فيما ذكره في تفسير كلمة « الدين » في الصفحة التاسعة عشرة : (نعم ، إن محمداً ﷺ كان يقول عن نفسه : إنه نبي ، ولكن تعاليمه الجديدة تتضمن اموراً اقتصادية واجتماعية وسياسية ...) فهذه الأمور ليست من الدين إذن ، بل هي تزيد من النبي ﷺ !!

ويقع المؤلف في تناقض صارخ حيث يقول في الصفحة نفسها (التاسعة عشرة) : (**إن أهل مكة لم يرضوا عن هذا الإلٰه الجديد « الله » وذلك لطبيعته المنزهة عن كل شرك**) ثم يقول في الصفحة الحادية والثلاثين :

(**إن اعتراف محمد ﷺ بالكعبة والحجر الأسود وبئر زمزم ، وهي من بقايا الجاهلية العربية جعل الإسلام يبتعد عن الديانتين التوحيديتين : اليهودية والنصرانية**) فالديانة التي نزهت الله عن كل شرك ديانة وثنية ، أما التي قالت « المسيح ابن الله » والتي قالت : « عزيز ابن الله » والتي اعتبرت « الله ثالث ثلاثة » فهي ديانة توحيدية !!

روايات شعبية

وفي الصفحة الخامسة عشرة يقول :

(**إذا كان الواقع ، وإذا كان التاريخ قد حرما**

■ **مزاعم الكثيرين من أركان عصر النهضة الأوروبية ، وادعاءات معظم المستشرقين في العصر الحديث ، عبارة عن ترديد لافتراءات مشركي العرب ومن عاصرهم من أعداء الإسلام ..**

محمداً ﷺ الفتى الثروة والسعادة ، **فإن إيمان الناس ورواياتهم الشعبية أغنت حياته وزينتها بالعجائب التي تذكرنا ما أحاط به النصارى حياة المسيح ، والبوذيون حياة بوذا من عجائب وخوارق)** ويجعل من هذه الروايات الشعبية : ما شعرت به حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ بالحليب يملأ ثدييها الجافين ساعة وضعته في حجرها ، وكذلك ما رآه ابنها من شق صدر رسول الله ﷺ واستخراج قلبه وغسله بعد نزع العلقة السوداء منه ، ولم ير الكاتب بأساً في أن يقول بعد ذلك : (**وفي القرآن الكريم يخاطب الله تعالى نبيه قائلاً : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ... ﴾ (الانشراح : ١ ـ ٤)** فهو هنا لم يكتف بوصف ما جاءت به الأحاديث النبوية ، بالروايات الشعبية التي أحاطت حياة الرسول ﷺ بالعجائب ! ولكنه يصم القرآن الكريم بذلك أيضاً ...

وفي الصفحة التاسعة عشرة يصف نزول الوحي على رسول الله ﷺ باللاوعي : (**وفي هذه الحالة النفسية من الانفعال الشديد أسرع إلى بيته ، وطلب إلى زوجته ان تدثره ، وهو في حالة اللاوعي سمع الصوت يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (المدثر : ١ ـ ٢)** .

جملة مغالطات

وفي الصفحة الثامنة والعشرين ، يقول : (**... ولكن ما إن لبث النبي ﷺ في المدينة حتى شعر بانه كان على خطأ فيما ظنه بهم ، فإن اليهود كانوا يعتبرون انفسهم شعب الله المختار ... ونشبت حرب باردة بينه وبين اليهود ؛ عند بدء السنة الثانية في المدينة أمر النبي ﷺ أن تحول القبلة عن بيت المقدس إلى مكة ، وصار المؤذن يدعو إلى الصلاة بعد أن كانوا يستعملون الناقوس ، واتهم أهل الكتاب بانهم أفسدوا الدين الصحيح وأخفوا الوحي وحوروا فيه ...**) .

يثير الكاتب في هذه السطور القضايا التالية : **ـ تحويل القبلة إلى مكة ، اللجوء إلى الأذان للدعوة إلى الصلاة بدلاً من استعمالهم الناقوس ، اتهام أهل الكتاب بالإفساد والتحوير في الدين ...**

حادثة تحويل القبلة

كان العرب في جاهليتهم يعظمون الكعبة ويعتبرون البيت الحرام عنوان مجدهم ، وحتى تخلص نفوس الذين آمنوا برسول الله ﷺ لله عز وجل ، كان أمر الله لهم بالتوجه أثناء الصلاة إلى المسجد الأقصى ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية ... **﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾** أي : بيت المقدس **﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ (البقرة : ١٤٣)** .

واستجاب المسلمون للأمر ، واستمروا على ذلك ستة عشر أو سبعة عشر شهراً من الهجرة ، واتخذ اليهود هذا ذريعة للاستكبار عن الدخول في دين الله عز وجل ، وقالوا : **إن قبلتهم هي القبلة ، فأولى بمحمد ـ ﷺ ـ ومن معه أن يفيئوا إلى دينهم لا أن يدعوهم إلى الدخول إلى الإسلام**[٣] ... فكان نزول الآية السابقة لبيان الغاية التي من أجلها أمر الله عز وجل المسلمين بالتوجه إلى بيت المقدس ... وكان الرسول ﷺ في هذه الأثناء يقلب وجهه في السماء متجهاً إلى الله عز وجل ، فنزل قوله تعالى : **﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة : ١٤٤)** .

استعمال الناقوس للدعوة إلى الصلاة

روى الإمام أحمد والبخاري عن نافع أن ابن عمر كان يقول :

[كان المسلمون يجتمعون ، فيتحينون ـ يقدرون أحيانها ليأتوا إليها ـ الصلاة ، وليس ينادي بها أحد ، فتكلموا يوماً في ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى . وقال بعضهم : بل قرناً مثل قرن اليهود ـ بوق للنفخ ـ فقال عمر رضي الله عنه : أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة ؟

فقال رسول الله ﷺ : **« يا بلال ، قم فناد بالصلاة »**] .

وقد شُرع الأذان في السنة الأولى للهجرة ، وتحويل القبلة كان في آخر السنة الثانية للهجرة ، ولا صلة مطلقاً بين تحويل القبلة والأذان ...

إفساد أهل الكتاب وتحويرهم

لو عدنا إلى الآيات المكية ، التي نزلت في مكة قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ، لوجدناها ملأى بالآيات التي تبين إفساد أهل الكتاب (يهود ونصارى) وتحريفهم للكتب السماوية ... ويمكن أن نذكر أمثلة على ذلك بما جاء في سورة النمل : **﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** (٧٦ ـ ٧٧) .

وما جاء في سورة الشورى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ . فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (١٣ ـ ١٥)

وما جاء في سورة الجاثية (الآيات : ١٦ ـ ١٨) من فضح اختلاف بني إسرائيل وانحرافهم ، وتنهي ذلك بأمر الرسول ﷺ باتباع شريعته ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وكذلك ما جاء في سورة الأعراف (الآيات : ١٥٧ ـ ١٥٨) وسورة النحل (الآيات : ٦٣ ـ ٦٤) وهذه كلها نزلت في العهد المكي ، تحذر الرسول ﷺ من يهود ، وتبين انحرافهم ...

أخطاء تاريخية صارخة

قال الكاتب في الصفحة الحادية والعشرين : « ... فأرغم النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه على الهجرة أولاً إلى الحبشة النصرانية ... » والثابت تاريخياً أن الرسول ﷺ لم يهاجر أصلاً إلا إلى المدينة المنورة .

وفي الصفحة الثانية والعشرين : « ... أما هو ـ أي محمد ﷺ ـ فوصلها ـ أي : المدينة المنورة ـ يرافقه أبو بكر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ في الرابع والعشرين من شهر أيلول سنة ٦٢٢م . » والصحيح أن الذي كان يرافق الرسول ﷺ في هجرته هو الصديق رضي الله عنه صاحبه في الغار ، أما علي رضي الله عنه فهو الذي بقي في مكة يبيت في فراش الرسول ﷺ ليعمي على قريش ، إضافة إلى مهمة إعادة الأمانات التي كانت لدى الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابها في مكة .

وفي الصفحة السابعة والعشرين : « ... واستشهد ـ في غزوة بدر ـ من المسلمين ثمانون رجلاً ... » ، والصحيح : أن قتلى المشركين سبعون ، وأسراهم سبعون ... وكان جميع من استشهد من المسلمين في تلك الغزوة أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ...

وبعد : فهذا حصاد ما يقرب من عشرين صفحة فقط من تلك الدراسة (**صانعو التاريخ العربي**) يمكن أن تكون أنموذجاً يدل على مدى الأمانة العلمية وتحري الصدق في الروايات التاريخية لدى هؤلاء ...

هوامش

(١) انظر كتاب « الوسيط في رسالة المسجد العسكرية » للواء الركن محمود شيت خطاب ، ص : ٢٤ .

(٢) يحدد حتى المشكلات التي كانت تشغل بال محمد ﷺ ، وتلهب نفسه بأمرين :
الأول : ما كان يعانيه مجتمعه من بؤس وشقاء ؛
والثاني : أنه كان لليهود والمسيحيين كتاب ، وأنهم كانوا أكثر تقدماً وأحسن مستوى مما كان عليه قومه (ص : ١٧) يريد بذلك أن يدلل على الصلة الوثيقة للرسول ﷺ قبل نبوته باليهود والمسيحيين مسوغاً ما ذهب إليه من أثر المسيحية في الإسلام !!

(٣) انظر في ظلال القرآن : ١٢٥/١ وما بعدها .